

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٧)

تذكير العباد بأسباب النجاة من الفساد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩] عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ

تبياناً لكل شيء، ولقد علمنا بعضاً مما بين لنا في القرآن، ثم تلا "وَنَزَّلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" قَالَ: بالسنة". ا. هـ (١)

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. ا. هـ (٢)

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تفسير قوله تعالى ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه، أتم تبين، بألفاظ واضحة، ومعان جلية. حتى إنه تعالى يشني فيه الأمور الكبار، التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها، ويبيدها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة، لتستقر في القلوب فتشمر من الخير والبر، بحسب ثبوتها في القلب. ا. هـ (٣)

ألا وإن مما بينه الله تعالى في هذا الكتاب المبارك هو سبب ما يصيب الناس من البلاء والفتن والزلازل والمحن، وأيضاً بيان العلة والحكمة من ذلك وكذلك بيان المخرج والنجاة من ذلك كله، وكل هذا بينه ربنا سبحانه وتعالى في آية واحدة ألا وهي قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

فبين ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الداء وهو ظهور الفساد والبلاء، وبين سببه وهو بما كسبت أيدي الناس، وبين الحكمة في ذلك وهو رجوع العباد إلى ربهم سبحانه فيفرج الله تعالى عنهم.

(١). «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٢٩٧)

(٢). عند تفسيره لسورة [سورة النحل: ٨٩]

(٣). عند تفسيره لسورة [سورة النحل: ٨٩]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: اختلف العلماء في معنى الفساد... فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك، وهو أعظم الفساد... وقيل: الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة. ونحوه قال ابن عباس قال: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا. قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش. وقيل: الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم؛ أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات؛ والمعنى كله متقارب. ا. هـ (١)

فبين الله تعالى في هذه الآية المباركة سبب ما يصيب العباد من البلايا والفتن، ألا وهو بما كسبت أيديهم من المعاصي والسيئات والذنوب والخطيئات كما قال ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] قال الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ أَبِي جَحْفَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَا أَعِدُّكُمْ بِحَدِيثٍ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَعِيَهُ؟ قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَ: مَا عَاقَبَ اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَنْتَنِي عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا عَفَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي عَفْوِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ كَانَ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّا لَنَبْتَسِسُ لَكَ لَمَّا نَرَى فِيكَ، قَالَ: "فَلَا تَبْتَسِسْ بِهَا تَرَى، فَإِنَّ مَا تَرَى بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. ا. هـ (٢)

(١) . عند تفسيره لسورة [الروم: ٤١]

(٢) . عند تفسيره لسورة [الشورى: ٣٠]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنها هو عن سيئات تقدمت لكم ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها. ا. هـ (١)

وقال سبحانه وتعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تعالى: فتادة: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ عقوبة يا ابن آدم بذنبك. ا. هـ (٢)

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

وقال جل وعلا ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٠]

فيا معاشر أهل الإسلام هذا بيان من ربكم لدائكم وسبب بلائكم وفتنكم التي تموج بأهل الإسلام موج البحار حال هيجانها، وهذا لعمر الله إنما هو بسبب بعض ذنوبهم لا كلها وإلا لو أخذ الله العباد بجميع ذنوبهم لهلكوا قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهِا مِّن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [سورة فاطر: ٤٥]

(١) . عند تفسيره لسورة [الشورى: ٣٠]

(٢) . عند تفسيره لسورة [النساء: ٧٩]

وقال جل وعلا ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا

لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيِلًا﴾ [سورة الكهف: ٥٨]

فالذنوب سبب للهلاك والدمار وسبب للفتن والمحن وسبب للقتل والقتال بل وسبب لهلاك

العالم أجمع والعياذ بالله.

فنسأل الله أن يعفو عنا وأن يرحمنا ويغفر لنا وأن يرزقنا الإنابة والرجوع إليه إن سميع عليم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مصرف الليل والنهار الملك الواحد القهار وأشهد ألا إله إلا الله وعد من أطاعه بالجنة ومن عصاه النار وأشهد أن محمدا عبده وخليته وعلى آله وصحبه الأطهار أما بعد عباد الله : أما والله ما هنالك مخرج مما نحن فيه إلا ما بينه الله تعالى في هذه الآية المباركة بقوله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿٤١﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ فإن حكمة الله تعالى اقتضت أنه سبحانه لا يغير على

العباد أمرا هم فيه حتى يغيروا ما بأنفسهم قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١]

فهذه سنة الله سبحانه في خلقه فإذا غير العباد من حالهم وأصلحوا أمورهم وراجعوا دينهم

أصلح الله لهم دنياهم وأخراهم ورفع عنهم ما بهم.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

"إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" أخرجه أبو داود وصححه الألباني رحمه الله تعالى ^(١)

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]

قال ابن كثير رحمه الله: قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني: الفقر والضيق في العيش وَالضَّرَاءِ وهي الأمراض والأسقام والآلام لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون.

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أي: فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا إلينا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ أي: مارقت ولا خشعت وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أي: من الشرك والمعاصي. ا. هـ ^(٢)

وقال تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٦]

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عما هم عليه من الشر وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه.

(١) . صحيح. أبو داود برقم [٣٤٦٢] السلسلة الصحيحة برقم [١١]

(٢) . عند تفسيره ل[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤٠ الى ٤٥]

فالله تعالى يتليهم - كما هي سنته في سائر الأمم - بالسراء والضراء

وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون. ا. هـ (١)
وقال سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ
(٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤-٩٥]

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦]
وعن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " من نزلت به
فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقتة ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو
أجل " رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٢)

فإذا تضرع العباد إلى ربهم سبحانه حال نزول الشدائد والكربات والبلايا والفتن فرج الله
عنهم وكشف ما بهم فهذا نبي الله يونس عليه السلام حين نزل به ذلك البلاء العظيم وتلك
المحنة الشديدة ﴿فَالْنَقْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِمٌ﴾ [سورة الصافات: ١٤٢]

تضرع إلى ربه سبحانه ففرج عنه وأذهب عنه كربه وشدته بتضرعه ودعائه واستكانته قال الله
تعالى حاكيا عنه ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنْ كَذَلِكَ
وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨]

(١) . عند تفسيره لسورة التوبة: [١٢٦]

(٢) . صحيح. سنن الترمذي برقم [٢٣٢٦] السلسلة الصحيحة برقم [٢٧٨٧]

وتأمل إلى وعده سبحانه الذي لا يخلف لعباده المؤمنين بعد ذلك

﴿وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٨].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم فيتهل إلى الله داعياً بإخلاص، إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء يونس هذا. وقد جاء في حديث مرفوع عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال في دعاء يونس المذكور "لم يدع به مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له" رواه أحمد والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم ^(١) والآية الكريمة شاهدة لهذا الحديث شهادة قوية كما ترى، لأنه لما ذكر أنه أنجى يونس شبه بذلك إنجاءه المؤمنين. وقوله ﴿نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صيغة عامة في كل مؤمن كما ترى. ا. هـ ^(٢)

ونبي الله إبراهيم عليه السلام لما كاده قومه وأرادوا حرقه فتضرع إلى ربه وأنزل أمره كله به سبحانه بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣)

(١). صحيح. أحمد برقم [١٤٦٢] الصحيح المسند برقم [٣٧٩]

(٢). «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٤/ ٨٥٨ ط عطاءات العلم)

(٣). باب: " {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم} . الآية / ١٧٣ / " برقم [٤٢٨٧]

فقال الله عنه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) ﴿قُلْنَا يَنْدُرُ كُنْزِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١) [سورة الأنبياء: ٦٨-٧١]

ونبي الله موسى عليه الصلاة والسلام حين بلغ به وبقومه الكرب مبلغه تضرع إلى ربه سبحانه وتوكل عليه فنجاه ربه ومولاه قال سبحانه ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ (٦١) ﴿قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣) ﴿وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْأَخْرِينَ﴾ (٦٤) ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (٦٥) ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (٦٦) [سورة الشعراء: ٦١-٦٦]

وفي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار فدعوا الله وتضرعوا إليه وتوسلوا إليه بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ; قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ؟ فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، و قال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلى فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن

تحلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفرض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي و تركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ; وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فشرمت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أدني أجري فقلت له : كل ما ترى من أجرك من الإبل و البقر و الغنم و الرقيق فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت : إني لا أستهزئ بك فأخذته كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا يمشون" (١)

بل إنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من كرمه وجوده أنه إن نزل بأعدائه كرب وشدّة فتضرعوا إليه كشف عنهم ذلك وهم حال إشراكهم فبالك بأهل التوحيد والإيمان قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥] وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [سورة لقمان: ٣٢]

وقال سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِمِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٢)

أَلْأَرْضُ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ [يونس: ٢٣]
فإذا كان هذا فضله وجوده وكرمه مع أعدائه فبالكم كيف يكون كرمه وفضله وفرجه
وتنفيسه لأوليائه واللائذون بجانبه تعالى وتقدس ربنا الكريم.

فيا معاشر أهل الإسلام لو ذؤا بربكم وتضرعوا إليه يفرج عنكم ما نزل بكم فو الله الذي
لا إله إلا هو سبحانه أنه ﴿لَيْسَ لَهُمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ﴿٥٨﴾ [النجم: ٥٨]
والله سبحانه غني عذابكم وبلائكم وإنما يحب من عبيده التضرع إليه وسؤاله فيجود عليهم
من كرمه لأنه كريم غني رحيم.
أسأل الله أن يجعل لنا ولكم من كل هم فرجا ومن كل عسر يسرا ومن كل فتنة سلامة
وعافية.

اللهم أصلح فساد قلوبنا وردنا إليك مردا جميلا وارزقنا توبة نصوحا، اللهم أصلح أحوالنا
وتول أمرنا واكبت عدونا وغير حالنا إلى أحسن الأحوال.
والحمد لله رب العالمين.